دفع إشكال آية [يَا أُخْتَ هَارُونَ] ونقض دعوى خطأ القرآن الكريم في ذلك

بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومَن والاه.

وبعد، فإن مما أشكل عليه المسيحيون وغيرهم من المستشرقين وخصوم الإسلام في ربانية القرآن الكريم وصدق نبينا محمد (صلى الله عليه وسلم) هو قول الله تعالى على لسان اليهود لمريم أم المسيح: [**يَا أُخْتَ هَارُونَ** مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا]، فقالوا: إن نبي الإسلام محمدًا (صلى الله عليه وسلم) اشتبه عليه الأمر فخلط-وحاشاه-بين مريم النبية أخت النبيين موسى وهارون وبين مريم العذراء أم المسيح فجعل اليهود ينادون أم المسيح بـ[يَا أُخْتَ هَارُونَ] وبين هارون ومريم أم المسيح مدة طويلة تنفي أخوّتهم، ومنشأ ذلك الخلط ما جاء في العهد القديم:

1- فَأَخَذَتْ **مَرْيَمُ النَّبِيَّةُ أُخْتُ هَارُونَ** الدُّفَّ بِيَدِهَا. سفر الخروج 15 آية 20

2- وَاسْمُ امْرَأَةِ **عَمْرَامَ** يُوكَابَدُ بِنْتُ لاَوِي الَّتِي وُلِدَتْ لِلاَوِي فِي مِصْرَ، فَوَلَدَتْ **لِعَمْرَامَ هَارُونَ وَمُوسَى وَمَرْيَمَ أُخْتَهُمَا.** سفر العدد 26 آية 59

3- **وَبَنُو عَمْرَامَ: هَارُونُ وَمُوسَى وَمَرْيَمُ.** سفر أخبار الأيام الأول 6 آية 3

وقالوا أيضًا: إن الخلط تعدى لاسم أبي مريم أم المسيح فجعله (عمران) وهو المذكور في الآيات السابقة باسم (عمرام) بينما اسم أبي مريم أم المسيح كان (يهوياقيم) أو (يوياقيم) لا (عمران)، إنما جاء هذا الخطأ تبعًا للخلط الذي حصل بين مريم النبية ومريم أم المسيح، يقول القرآن: [إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ **عِمْرَانَ** رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا

أُنثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا **مَرْيَمَ** وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ]

هذه كل شبهاتهم حول الآية، ونرد عليهم وبالله التوفيق:

لعل هذه الشبهة أقدم ما أشكل عليه المسيحيون في القرآن الكريم وأجاب عنها رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بنفسه كما سيأتي إن شاء الله، لكن نقول في البداية إن المفسرين لهم في تفسير ذلك احتمالات عديدة تنقض هذه الشبهة مِن باب (إذا وَرَدَ الاحتمال بطل الاستدلال) أوجهها احتمالان، الأول: إن لها أخًا مباشرًا يُسمى (هارون) عُرف بالصلاح فنوديت بـ[يَا أُخْتَ هَارُونَ] لتوبيخها وتنبيهها على صلاح أهل بيتها وعِظم ما ظنوا أنها فعلت ولذلك قالوا بعد ذلك [...مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا] فذكّروها بصلاح والديها بعد أخيها، فلا علاقة للنبي هارون أخي موسى بهذا.

الثاني: إن هارون هو النبي أخو موسى لكن قول اليهود [يَا أُخْتَ هَارُونَ] ليس المقصود به أيها الأخت المباشرة لهارون إنما قُصد به أيها المنحدرة من سلالة النبي هارون، كما تقول العرب (يا أخا تميم) و(يا أخا ربيعة) ويعنون بذلك أيها المنحدر من سلالة تميم أو ربيعة وهذا معروف في كلام العرب، فنوديت بذلك لتوبيخها وتنبيهها على أن نسل هارون مِن أهل الطهر وعظم ما ظنوا أنها فعلت، وهارونيّة مريم يثبتها كثير من مفسري الكتاب المقدس ولا يوجد ما يعارضها.

وحاول بعض المنصّرين الرد على الاحتمال الأول بقوله إن أم مريم في القرآن كانت تترجى أي ولد لتنذره فلما جاءتها ابنة نذرتها للعبادة فكيف يكون لها ابن آخر اسمه هارون وهي كانت تترجى ذلك! وهذا التشغيب

منه يدل على جهله لأن الذي يظهر من الآيات أن النذر مختص بذلك الحمل دون غيره وأنه كان بعد الحمل، قال الشيخ السعدي في تفسيره: [إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ] أي: والدة مريم **لمّا حملت.** فإثبات أنها كانت دائمًا تترجى الولد لتنذره لا دليل عليه، وعليه فقد يكون لها ابن اسمه هارون وُلِد قبل مريم أو بعدها ولم يقع عليه نذر كمريم، على أن كثيرًا من المفسرين قالوا إن هذا الأخ الصالح المسمى بهارون كان أخا مريم لأبيها، وهذا الرأي حتى لو قيل لا دليل لإثباته لكنه يبقى ممكنًا جدًا ولا معارض له لانتشار تعدد الزوجات في اليهود قديمًا وهو سُنة التوراة.

وما يُروى بشأن أن أم مريم كانت كبيرة لا تلد وأن هذا أول حمل لها فلا يصح منه شيء.

وقال أيضًا بأن [يَا أُخْتَ هَارُونَ] المقصود بـ(هارون) فيها هو هارون أخو موسى دون غيره فحين نذكر هارون دون تعريف فنحن نحيل على هارون المعروف، لكني أرد عليه بأنه قد يصح كلامك إذا كانت الآيات في سياق الكلام عن الأنبياء كما في قوله تعالى: [وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَـٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ **وَهَـٰرُونَ** وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ] أما في غير ذلك فلا نسلّم لك.

وحاول الرد على الاحتمال الثاني بقوله لماذا لم يقل القرآن ابنة وقال أخت؟ ثم قال انظروا إلى صفية في هذا الحديث، قالت: [دخل علي رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وقد بلغني عن حفصة وعائشة كلام فذكرت ذلك له فقال ألا قلت فكيف تكونان خيرًا مني وزوجي محمد **وأبي هارون** وعمي موسى.]

ولم يقل لصفية أن تقول (أخي هارون) أو (أنا أخت هارون) وتعني بذلك أنها حفيدة هارون!

وهنا أثبت المنصّر جهله بحق، أولًا لأن الحديث لا يصح، وثانيًا دلالة (يا أخا فلان) أو (يا أخت فلان) على أنك من نسل فلان لا تثبت أن هذا هو الأسلوب الوحيد للدلالة على أنك من نسل فلان، وكذلك دلالة (يا ابن فلان) أو (يا ابنة فلان) على أنك من نسل فلان لا تثبت أن هذا هو الأسلوب الوحيد أيضًا للدلالة على أنك من نسل فلان، فإثبات الشي لا ينفي ما سواه، وكِلا الأسلوبين يدلان في لغة العرب على أنك من نسل فلان، والتفنن والتنوع في الإتيان بكلام العرب وأساليبهم في الكلام مما هو معروف عن القرآن الكريم. وعندما قوبل بهذا الرد قال هاتوا دليلكم على أن اليهود استخدموا هذا الأسلوب!! وكأنه لا يعرف أن القرآن ينقل لنا كلام الأوائل مترجمًا معناه بأرقى لغة عربية وأجمل أسلوب، فليس ضروريًا أن اليهود قالوا لها (**أخت** هارون) بالحرف، فقد قالوا (حفيدة) أو (سليلة) بلغتهم لكن الله نقلها للعرب (أخت هارون) لأنه يعلم أن اليهود يقصدون بذلك حفيدته وأن العرب سيفهمون حفيدته حتى لو قال لهم (أخت هارون) في القرآن لأنهم يقولون (أخت فلان) في كلامهم ويقصدون بذلك الحفيدة كما بيناه.

وهذان الاحتمالان وإن كانا قويين وصامدين أمام من يحاول التشغيب عليهما ويكفيان لدفع الإشكال لكننا نؤمن بأن الاحتمال الأول هو الذي وقع بين مريم واليهود وأن المقصود بـ[يَا أُخْتَ هَارُونَ] هو الأخ المباشر وأن لمريم اخًا اسمه هارون عُرف بالصلاح، وسبب إيماننا بذلك هو ما جاء في حديث المغيرة بن شعبة، قال: لَمَّا قَدِمْتُ نَجْرَانَ سَأَلُونِي(يعني المسيحيين)، فَقالوا: إنَّكُمْ تَقْرَؤُونَ [يا أُخْتَ هَارُونَ]، وَمُوسَى قَبْلَ عِيسَى بكَذَا وَكَذَا(يعنون مدة طويلة من الزمن)، فَلَمَّا قَدِمْتُ علَى رَسولِ اللهِ (صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ) سَأَلْتُهُ عن ذلكَ، فَقالَ: [**إنَّهُمْ كَانُوا يُسَمُّونَ بأَنْبِيَائِهِمْ وَالصَّالِحِينَ قَبْلَهُمْ.**]

ومعنى كلامه (صلى الله عليه وسلم): أظنوا أن اسم هارون كان مختصًا بهارون أخي موسى فحسب؟! فلقد كان اليهود يتسمون بأسماء أنبيائهم وهارون من أنبيائهم وكان لمريم أخًا اسمه هارون سُمي على النبي هارون فنوديت بـ[يَا أُخْتَ هَارُونَ]، فكان ماذا؟!

ومن هذه الجهة نرد زعمهم بأن اسم أبي مريم ليس (عمران) بل (يهوياقيم) أو (يوياقيم) وأن هذا من الخلط، فنقول بأن الأسماء في كل الأمم تتكرر خصوصًا إذا كانت أسماء شخصيات عظيمة كالأنبياء، ولا يُستبعد أيضًا أن يكون من أسباب تسمية أبي مريم لابنه هارون بهارون هو استغلال تسمية أبيه له (عمران) ليحصل لابنه هارون (أخي مريم) اتفاق مع النبي هارون أخي موسى في الاسم أولًا واسم الأب ثانيًا فيكون كلاهما (هارون بن عمران).

ناهيك أن الشخصيات في ذلك الزمان يكون لها أكثر من اسم وهذا أمر معروف عندهم، وليس ثمة مانع يمنع أن يكون لعمران أبي مريم اسم (يهوياقيم) أو (يوياقيم) و(عمران) في نفس الوقت.

ومهما يكن، فنحن نؤمن بنبينا (صلى الله عليه وسلم) لذلك قلنا برجحان الاحتمال الأول أما غير المسلم فهو لا يسلّم بنبوته (صلى الله عليه وسلم) فليس له الترجيح والإثبات، ولذلك نقول له يبقى هذان الاحتمالان قويين ولا سبيل لردهما ولا معارض لهما وإنْ كنتَ لا ترجح أحدهما على الآخر، وما دام أنه ليس عندك ما يمنع هذا-ولن يكون عندك-فليس لك لا الإثبات ولا النفي ويكون كل هذا عندك ممكنًا ويجب أن لا تبادر بالنفي قبل أن تأتي بدليله، وهذه الشخصيات لا توجد وثائق تاريخية فصّلت في حياتها ولا حتى الأناجيل، فحصرك للمسألة بأن القرآن الكريم أخطأ وأن هذا بسبب الخلط من قلة التأمل في المسألة ومأزق مفتعل.

ونزيد على ما مضى بكلام جديد قوي نبهنا عليه الدكتور البحّاثة سامي عامري-أيده الله-وهو أن مَن تتبع كلام الشارع وجده يفرق بين زمن مريم وهارون، وسأفصل في ذِكر أدلة هذا الكلام بأدلة من عندي لم يذكرها الدكتور في كلامه لضيق الوقت، ولست أنسب هذا الفضل لي بل لله ثم للدكتور، ومَن فهم هذا الكلام سيقطع بكون الشارع لم يخطئ في هذه القضية لتفريقه بين الأزمنة.

فنقول:

إن المسلم وغير المسلم يقول بأن النبي محمدًا (صلى الله عليه وسلم) هو صاحب القرآن، والفرق بيننا أن المسلم يعني بصاحب القرآن أول مَن أتى به من الأنبياء وحيًا من الله، أما غير المسلم فيعني بذلك أنه مخترعه ومؤلفه-وحاشاه (صلى الله عليه وسلم)-

وصاحب القرآن إذا تتبعنا ما في القرآن الذي أتى به وزد عليه أحاديثه وأقواله المروية عنه سنخرج بنتيجة هي أنه يفرق بين زمن هارون ومريم ولا يمكن أن يكونا أخوة عنده للمدة الطويلة التي بينهما والتي تنفي أخوة أي شخصين عند كل عاقل، فما سنفعله أننا سنبين كيف وصلنا لهذه النتيجة من القرآن نفسه ومن الأحاديث الصحيحة الثابتة عن صاحب القرآن فكل ذلك يمثّل فكره واعتقاده (صلى الله عليه وسلم).

إن مما لا شك في عند كل أحد أن صاحب هذا القرآن يقول ويعتقد بأخوّة موسى وهارون المباشرة ومعاصرتهما لبعضهما وأنهما أُرسلا لفرعون وبني إسرائيل معًا، جاء في القرآن على لسان موسى [وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي **هَٰرُونَ أَخِي** ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي] ثم [وَٱصۡطَنَعۡتُكَ لِنَفۡسِي ٱذۡهَبۡ **أَنتَ وَأَخُوكَ** بِـَٔايَٰتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكۡرِي **ٱذۡهَبَآ** إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ] ثم [**فَأۡتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرۡسِلۡ مَعَنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبۡهُمۡ**] وغيرها من الآيات في القرآن، وكذلك لا يُشك بأن صاحب

القرآن يقول ويعتقد بما ذكر أنه حصل لمريم أم المسيح مع زكريا وكفالتها ودخوله عليها في المحراب ثم دعاء زكريا والبشارة بيحيى وما حصل لها مع ابنها المسيح، جاء في القرآن [فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا **وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا** كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا **قَالَ يَٰمَرْيَمُ** أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا **قَالَتْ** هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ **هُنَالِكَ** دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّي فِي ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ **بِيَحْيَىٰ** مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ]، وجاء [**فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ** قَالُواْ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا وَبَرًّۢا **بِوَٰلِدَتِي** وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا **ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ**].

وما دام أن صاحب القرآن جعل مريم أخت هارون المباشرة-بزعم مخالفيه-فإما أنه نقل مريم إلى زمن هارون (قبل أكثر من ألف سنة من الميلاد) أو أنه نقل هارون إلى زمن مريم (القرن الأول الميلادي)، وذلك ضرورةً يستلزم نقل ما حصل لهما في القصص القرآني لوقتيهما أيضًا، فكل التفاصيل الذي ذكرها عن مريم كما حصل لوالدتها وزكريا ويحيى والمسيح، وكل التفاصيل الذي ذكرها عن هارون كأخوّة موسى له وإرسالهما لفرعون وبني إسرائيل ثم خروجهم من مصر وعبادتهم للعجل وغيرها يجب أن تنتقل معهما، فلا يصح أن ينقل مريم لوحدها لزمن هارون ويغفل أنه ذكر ما حصل لها مع زكريا ومعاصرتها له فينقل معها زكريا، ولا يصح أن ينقل هارون لوحده لزمن مريم ويغفل أنه ذكر ما حصل لهارون مع موسى فينقل معه موسى، وهذا ما انتبه له مسيحيو نجران عندما أشكلوا على القرآن فقالوا: (إِنَّكُمْ تَقْرَؤُونَ يا أُخْتَ هَارُونَ، **وَمُوسَى قَبْلَ عِيسَى** بكَذَا وَكَذَا.) ولم يقولوا (وهارون قبل مريم بكذا

وكذا) مع أن الإشكال عليهما أصلًا! وذلك لأنهم أدركوا بعقولهم أن صاحب القرآن يقول بمعاصرة هارون لموسى وبمعاصرة مريم لابنها المسيح ونقْل هارون لمريم أو العكس يستلزم نقل المسيح لموسى أو موسى للمسيح بلا ريب، فالأخوة المباشرة تثبت معاصرتهما لبعضيهما أو على الأقل قرب زمنيهما من بعض وذلك يستلزم نقل أحداثهما معًا كما وضحنا.

<u>لكن</u> الحاصل أن صاحب القرآن قطعًا لا يعتقد ذلك، ومَن يقرأ فكره يجد أنه يؤمن بموسى ثم أنبياء بعده ثم يذكر عيسى المسيح مما يدل على فجوة زمنية بينهما لا تجعل موسى "خال" المسيح (لأنه جعل هارون أخا موسى أخًا لمريم فموسى يكون خال المسيح أيضًا)، خذ مثلًا في القرآن [إِنَّآ أَنزَلۡنَا **ٱلتَّوۡرَىٰةَ** فِيهَا هُدٗى وَنُورٞۚ يَحۡكُمُ بِهَا **ٱلنَّبِيُّونَ** ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّـٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ] ثم [**وَقَفَّيۡنَا عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم بِعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِۖ وَءَاتَيۡنَـٰهُ ٱلۡإِنجِيلَ** فِيهِ هُدٗى وَنُورٞ **وَمُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ** وَهُدٗى وَمَوۡعِظَةٗ لِّلۡمُتَّقِينَ]

قال الطبري في تفسيره:

يعني تعالى ذكره بقوله: [وَقَفَّيۡنَا عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم] **أتبعنا. يقول: أتبعنا عيسى ابن مريم على آثار النبيين** الذين أسلموا من قبلك، يا محمد، فبعثناه نبيًّا مصدّقا لكتابنا الذي أنزلناه إلى موسى **من قبله** أنّه حق.

تأمل الآية:

1- إنزال التوراة وهي أُنزلت على موسى عند صاحب القرآن كما جاء في الحديث: [قالَ آدَمُ: أنْتَ مُوسَى الذي اصْطَفاكَ اللَّهُ برِسالَتِهِ،

واصْطَفاكَ لِنَفْسِهِ **وأَنْزَلَ عَلَيْكَ التَّوْراةَ؟ قالَ: نَعَمْ.**] وجاء في آخر: [أَنْشُدُكَ باللَّهِ الذي **أَنْزَلَ التَّوْرَاةَ على مُوسَى.**]

2- ثم بعد ذلك نبيون يحكمون بما أُنزل فيها [يَحۡكُمُ بِهَا **ٱلنَّبِيُّونَ** ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ].

3- ثم بعد هؤلاء النبيون جاء على آثارهم عيسى المسيح مصدقًا للتوراة التي كانت قبله كما في الآية [بَيۡنَ يَدَيۡهِ] أيْ قبله، وأُنزل معه كتاب جديد يُسمى (الإنجيل) مصدق للتوراة التي كانت قبله أيضًا كما في الآية (فهذا ليس تكرارًا!).

وهؤلاء النبيون الذين بين موسى وعيسى منهم داود (الذي عاش مئة عام كما في الحديث: هذا ابنُك داودُ، قال: أَيْ ربِّ كم عمرُه، قال: **ستونَ عامًا،** قال: ربِّ زِدْ في عمرِه، قال: لا، إلا أن أزيدَه من عمرِكَ وكان عُمْرُ آدمَ ألفَ عامٍ **فزادهُ أربعين عامًا**) وسليمان-وهذان النبيان كانوا من الملوك الأقوياء عنده-والنبي الذي لم يسمّ في القرآن في قوله: [أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ **مِن بَعْدِ مُوسَىٰ** إِذْ قَالُوا **لِنَبِيٍّ لَّهُمُ** ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَاتِلْ.] ومنهم سائر من قُصد في قوله: [وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ **وَقَفَّيْنَا مِن بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ** وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ **أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ.**] وتعبيره بـ[فَرِيقًا] لا يدل على القلة بل يدل على الكثرة كما لا يخفى.

وهؤلاء الكثرة بُعثوا مفرّقين لا جماعة واحدة كما جاء في الحديث: [كانَتْ بَنُو إسْرائِيلَ تَسُوسُهُمُ الأنْبِياءُ، **كُلَّما هَلَكَ نَبِيٌّ خَلَفَهُ نَبِيٌّ.**]

ولا يُقال بأن هؤلاء كانوا بعد عيسى لأن عيسى أصلًا عند صاحب القرآن ليس بعده نبي إلا هو، جاء في الحديث: [أَنَا أَوْلَى النَّاسِ بابْنِ مَرْيَمَ، وَالأَنْبِيَاءُ أَوْلَادُ عَلَّاتٍ، **ليسَ بَيْنِي وبيْنَهُ نَبِيٌّ.]**

فهذا يدل بشكل قاطع على أن صاحب القرآن إذا راجعنا فكره وما يؤمن به سنجده يؤمن بفجوة زمنية كبيرة بين موسى وعيسى وهذه الفجوة تجعله لا يقول بأخوة هارون ومريم المباشرة للسبب الذي قلناه وهو استلزام نقل الشخصيات التاريخية بكل تفاصيلها التي ذكرها هو لوقتيهما وامتناع الأخوة بين أي شخصية وشخصية بينهما فترة زمنية طويلة.

هذا ولو كان صاحب القرآن يؤمن بمعاصرتهما لبعضيهما، لوجدنا لذلك أثرًا في القرآن أو في أحاديثه، ومَن يقرأ القرآن والحديث لا يجد أثرًا لذلك فمثلًا ليس ثمة نص يقول بأن مريم حصل لها كلام أو حادث مع "أخيها" موسى أو هارون مع أنه جاء في القرآن ذِكر أخت موسى كقوله:[وَقَالَتْ **لِأُخْتِهِ** قُصِّيهِ]-وهذه آية مكية كآية [يَا أُخْتَ هَارُونَ] يعني قبل شبهة مسيحيي نجران-ولو كان يعتقد أنها مريم أم المسيح لسماها كما سماها في باقي الآيات وجعل هذا من جملة مناقبها، أو كلام بين المسيح و"خاله" موسى أو هارون أو كلام بين زكريا وموسى أو هارون مع عظم شخصياتهم في فكر صاحب القرآن، ولا تجد أثرًا لمريم والمسيح وزكريا ويحيى في مصر وقصة فرعون والخروج وعبادة العجل وحرب الأرض المقدسة، مع أن القرآن ذكر قصصًا لشخصيات فرعية-كما يُقال-كمؤمن آل فرعون! وهو إنْ كان شخصية عظيمة ودوره عظيمًا وقصص القرآن لا تخلو من حكمة لكن وجود شخص كزكريا آنذاك وهو في فكر صاحب القرآن مَن هو ثم إغفاله والأنسب وضع دور له لهو

دليل على أن صاحب القرآن لا يؤمن بمعاصرتهم، بل إنك لا تجد كلامًا حتى بين المسيح وأولاد أو أحفاد موسى وهارون المباشرين أو مَن لقيهما، بخلاف إيمان صاحب القرآن بمعاصرة زكريا لمريم فإنك ستجد له أثرًا كبيرًا فقد كان كافلَها ويدخل عليها المحراب وصار بينهما كلام، وانتقل ذلك حتى إلى ابنيهما فقد جاء في الحديث: [إنَّ اللَّهَ أمرَ **يحيى** بنَ زَكَريَّا بخمسِ كلماتٍ أن يعملَ بِها، ويأمرَ بني إسرائيل أن يعمَلوا بِها، وإنَّهُ كادَ أن يُبْطِئَ بِها فقال **عيسى**: **إنَّ اللهَ أمَرَك بخَمسِ كلماتٍ؛ لِتَعمَلَ بها وتَأمُرَ بَني إسرائيلَ أن يَعمَلوا بها، فإمَّا أن تَأمُرَهم، وإمَّا أنْ آمُرَهم، فقال يحيى: أخشى إن سبَقتَني بها أن يُخسَفَ بي أو أُعذَّبَ**.] وقال عنهما في حديث طويل:[...فَلَمَّا خَلَصتُ إِذَا **يَحيَى وَعِيسَى- وَهُمَا ابنَا الخَالَةِ -**، قَالَ : هَذَا **يَحيَى وَعِيسَى**، فَسَلِّمَ عَلَيهِمَا، فَسَلَّمتُ.]

ولا يدور في بال قارئ القرآن أو الأحاديث أن صاحبها يؤمن بأن زمن مريم والمسيح وزكريا ويحيى هو زمن موسى وهارون وفرعون، بل حتى لا يدور في باله أنه زمن داود وسليمان فضلًا عمن قبلهما!

وهذا القرآن بيننا والأحاديث الصحيحة أيضًا بيننا ومتيسرة لكل أحد، وليس أحد يستطيع أن يثبت أن القرآن أو الأحاديث ادعت لقاءً أو كلامًا أو حدثًا صار بين هذه الشخصيات المتنافرة زمنيًا.

<u>فخلاصة هذه الورقات:</u>

أن قوله تعالى [يَا أُخْتَ هَارُونَ] ليس المقصود فيه الأخوة المباشرة ولا دليل عند المستشكل بأن القرآن يقصد ذلك، بل توجد احتمالات أخرى توهن حجة المستشكل ولا يستطيع الرد عليها.

مما يجعلنا نقطع بأن القرآن لا يقصد ذلك هو أننا إذا تتبعنا فكر صاحب القرآن نجده يفرق بين زمن هارون ومريم ويجعل بينهما أنبياء كثر للزوم كون موسى أخي هارون والمسيح ابن مريم بينهما أنبياء كثر وآخر الأنبياء في فكر صاحب القرآن هو المسيح ثم هو.

وأن صاحب القرآن لم يذكر حدثًا واحدًا صار بين هذه الشخصيات مع أهميتها وقداستها عنده، واجتماعهم إذا كانوا متعاصرين أمر لا بد منه خصوصًا وأنهم جميعًا إسرائيليون كما يعتقد.

سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.